



رسائل الثورة السورية المباركة (86)

لا مجاملةً بعد اليوم (5)

الخلاصة: نعيش معاً أو معاً نموت

هذه خامسة خمس مقالات كتبتها تحت العنوان الفرعي الذي ترونه في رأس المقالة (لا مجاملة بعد اليوم)، بدأتها وأنا أكثر قبولاً وأوفر أصدقاء، وأنهيااليوم وقد غضب مني وتفرق عنـي كثيرون. فأما الذي خسرته من قبول ومحبة فأرجو أن يعوضني عنه الله، وأما أن يُفْهَم ما كتبته على غير وجهه فهذا ما لا أرضاه، فأكون قد دفعت الثمن ولم أصل إلى النتيجة المبتغاة.

يا أيها السادة:

أنا ما كتبت في هذه المقالات حرفًا لأهجو أحداً كما أني لم أكتب في غيرها حرفًا لأمدح أحداً، فإني لست هجاءً ولست مدحًا، بل إن من عادي - كلما قرأت ديواناً من دواوين الشعراء - أن أقفز من فوق بابي المديح والهجاء، تماماً كما أقفز من فوق باب الفخر، لأن الفخر غرور والمديح رباء والهجاء سفة وقلة أدب، ثلاث صفات لا أحبها في نفسي ولا أحبها في الناس. لقد خاطبـت أهل دمشق وهم منـي وأنا منـهم، فكيف أهجوـهم؟ أـيهـجوـ اـمـرـؤـ نـفـسـهـ؟ إنـماـ أـسـتـحـثـ الصـامـتـينـ وـالـمـتـرـدـدـيـنـ منـ أـهـلـ دـمـشـقـ وـأـدـعـوـهـمـ إـلـىـ شـرـفـ الـدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ، أـمـاـ مـنـ يـشـارـكـ مـنـ أـهـلـهـاـ فـيـ الثـوـرـةـ بـنـفـسـهـ أـوـ بـمـالـهـ أـوـ بـجـهـهـ وـوقـتـهـ فإـنـهـ لـيـسـتـحـقـ إـلـاـ أـعـطـرـ الذـكـرـ وـأـصـدـقـ الثـنـاءـ، وـلـاـ سـيـمـاـ الـذـيـنـ يـشـارـكـونـ فـيـ مـظـاهـرـاتـ وـسـطـ دـمـشـقـ فـيـضـعـونـ أـنـفـسـهـمـ فـيـ فـمـ الأـسـدـ مـخـتـارـينـ، أـوـلـئـكـ أـشـجـعـ مـنـ عـرـفـتـ وـلـاـ يـمـلـكـ مـثـلـيـ إـلـاـ أـنـ يـتـيـهـ بـهـمـ فـخـراـ لـوـ كـانـ فـخـرـ جـائـزاـ فـيـ دـيـنـ الثـوـرـةـ، وـلـكـنـ سـبـقـ القـولـ أـنـهـ لـاـ فـخـرـ لـأـحـدـ عـلـىـ أـحـدـ وـأـنـ الثـوـرـةـ مـلـكـ وـحـقـ لـلـجـمـيعـ سـوـاءـ بـسـوـاءـ.

وـخـاطـبـتـ الـعـلـمـاءـ الصـادـقـينـ، وـهـمـ سـادـتـاـ الـذـيـنـ يـسـلـكـونـ بـنـاـ مـسـالـكـ الـهـدـىـ وـيـقـودـونـ الـأـمـةـ فـيـ الـلـيـالـىـ الـحـالـكـاتـ، وـأـعـلـمـ أـنـ لـبعـضـهـمـ مـنـ الـمـوـاـقـفـ الـعـظـيمـةـ فـيـ هـذـهـ الثـوـرـةـ مـاـ سـوـفـ تـرـوـيـهـ صـحـافـ التـارـيخـ كـمـاـ تـرـوـيـهـ مـوـاـقـفـ مـنـ مـضـيـهـ الـأـمـةـ الـكـبـارـ، كـعـلـمـيـ دـمـشـقـ الـعـظـيمـينـ الـكـبـيرـينـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ وـالـعـزـ بـنـ عـبـدـ السـلـامـ. إـنـمـاـ نـرـجـوـ أـنـ يـكـوـنـ عـلـمـاءـ دـمـشـقـ كـلـهـمـ مـنـ هـذـهـ الـبـيـاـةـ وـأـنـ يـتـعـاوـنـواـ فـيـ حـمـلـ مـشـعـلـ النـورـ الـذـيـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ الـعـامـةـ لـيـبـصـرـوـاـ الـطـرـيقـ، وـأـنـ يـكـوـنـ تـوجـيهـهـمـ لـلـنـاسـ وـاضـحـاـ لـلـجـلـجـةـ فـيـهـ وـلـاـ مـوـارـبـةـ: وـجـوبـ الثـوـرـةـ حـتـىـ إـسـقـاطـ النـظـامـ.

وـخـاطـبـتـ الـمـجـلـسـ الـوطـنـيـ وـأـعـلـمـ أـنـ فـيـ عـامـلـيـنـ جـادـيـنـ مـخـلـصـيـنـ وـأـعـلـمـ أـنـهـ السـقـفـ الـذـيـ نـسـتـظـلـ بـهـ، هـلـ يـنـفـضـ السـقـفـ عـلـىـ نـفـسـهـ إـلـاـ سـفـيـهـ؟ إـنـمـاـ نـرـيدـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـجـلـسـ فـيـ الـهـمـةـ وـالـفـاعـلـيـةـ بـمـسـتـوـيـ هـمـةـ وـفـاعـلـيـةـ الـثـوـرـةـ الـمـيـدـانـيـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ، وـنـرـجـوـ أـنـ

يُصلح نفسه وأن يستبدل بغير الأكفاء أكفاء فاعلين. إن رجال الثورة وأعلامها فيهم فاضل وفيهم مفضول، فلئن كانت أزمنة الرخاء تقبل بتتصدر المفضول مع وجود الأفضل فإن أزمنة الشدة لا تقبل بديلاً بالأفضل، ولا يجوز أن يكون الشعب النبيح حقداً للتجارب ولا ميداناً لتطوير المواهب، ففي كل يوم جديد نخسر ألف مشرد وألف معذب ومئة شهيد.

يا أيها الإخوة:

إن الثورة هي خطر والخسائر كثيرة والمعنيات في تراجع، فإذاً ندفع المركب ونمضي إلى البر أو نغرق ونموت جميعاً. لقد أبحرت سفينة الثورة منذ عام وصارت في وسط البحر؛ ربما كان الطريق طويلاً إلى ميناء الوصول ولكن الطريق الذي قطعته السفينة من يوم فارقت ميناءها الأول أيضاً طويلاً، وهي تعلم أنها لو وقفت وسط الموج الهائج فإن الغرق هو المصير، وإن عادت إلى مينائها الذي خرجت منه فإن ما ينتظرها هو النار والدمار، فلم يعد لها من خيار إلا الاستمرار. ليس أحد في هذه الثورة مستقلأً عن أحد، نحن في سفينة واحدة، فإذاً ننجو كلنا معاً ونصل إلى شاطئ الأمان أو تغرق سفينتنا ويبتلعنا اليم أجمعين.

إن ثورة سوريا لن تتم إلا بثورة دمشق، وأولى الناس بدمشق هم علماؤها، فمن أجل ذلك خاطبت أهل دمشق وخاطبت علماء دمشق. والثورة تحتاج إلى المجلس الوطني ممثلاً لها وحاهماً لهموها ومحقاً لمطالبه، فمن أجل ذلك خاطبت المجلس الوطني؛ فهي أثافي ثلاثة تستند الثورة إليها ويعتمد انتصارها - بعد إذن الله وأمر الله - عليها، وأيما أثافية منها سقطت سقطت الثورة معها.

خاطبهم فأغضبهم فتغضبوا؛ غضب مني بعض العلماء وعدد من أعضاء المجلس وكثير من الدمشقيين. لا تغضبوا يا أيها الكرام، إن كلماتي لا تضر ولا تنفع، إنما يضر وينفع العمل الذي ينبغي أن نعمله فلا نعمله أو ينبغي أن لا نعمله فنعمله، أنا وأنت وأطراف الثورة أجمعون، لا أستثنى نفسي بل أصدر بها قائمة من يحتاج إلى النصيحة والنقد ومن يطلب من إخوانه الرأي والتوجيه.

أحد الفضلاء علق على المقالات عاتباً فقال إنها تدخل في باب "وأقبل بعضهم على بعض يتلاؤمون"، والتلاؤم يوغر الصدور ولا يفيد. هذا الأخ أرفع مني مقاماً في العلم والفضل، ولكني لا أواافقه في تفسيره، وإذا فهموني هذا المعنى فلا بد أنني أأسأه التعبير، فآخر ما أريده من كتابتي هو أن تتحول إلى ميدان تلاؤم بين بعض أهل الثورة وبعض أهلها الآخرين. لسنا متلاؤمين يا أخي الفاضل وما ينبغي لنا أن تكون، بل نحن - إن شاء الله - متناصحون.

إن التلاؤم المذكور في الآية هو حالة سلبية أعقبت الفشل، وما نحن فيه الآن حالة إيجابية تسبق الفشل وتحاول منعه. التلاؤم السلبي المذموم ينشغل بالماضي ولا ينظر إلى المستقبل: لماذا بدأتم بالثورة؟ أليس قد عشنا من قبل في أمان؟... التلاؤم السلبي المذموم هو جولات من التراشق الساخط: أنتم المخطئون لأنكم تسرعتم ولم تحسنوا التقدير. لا، بل أنتم الملومون لأنكم تقاعستم وترددتم. نحن، أنتم، نحن... يتشاغلون بتبادل التهم واحتراق الأعذار والنار تلتهم الدار!

كل ذلك عبث لا يفيد. الصواب الذي يسعى إليه العقلاء هو النظر إلى المستقبل والبحث عن الحلول واستئناف الهم، وحتى لو كان استئنافاً قاسياً فإنه يبقى مقبولاً طالما كان خالياً من مأرب النفس وقائماً على الإخلاص وتحري الصواب.

يا أهل سوريا الكرام، يا أهل دمشق ويا أهل حلب، يا أيها العامة ويا أيها العلماء، يا أيها الثوار ويا أيها الساسة: ليس أحد في أمان إذا فشلت الثورة - لا قدر الله - وإذا بقي النظام. الكل في مركب الثورة واحد، ليس فريقاً أولى بالثورة وبالمشاركة بالثورة وبدعم الثورة من فريق، فالكل ناجٍ أو الكل غريق. ضعوا اليد في اليد ورُصّوا الصفوف إلى الصفوف، لا يختلفون منكم أحدٌ ولا يتقاعسون عن نصرة الثورة أحد. إن طريقنا واحد

ونهايتها واحدة، فإذاً أن ننجح وننجو معاً أو نفشل معاً ومعاً نموت.

المصدر: [الزلزال السوري](#)

المصادر: